

النظام التربوي التونسي: الواقع والآفاق في ضوء الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة

أمير الخلفي¹

طالب دكتوراه: بيداغوجيا وتعلمية المواد

مدرسة الدكتوراه بالمعهد العالي للتربية والتكوين المستمر بباردو

DOI : <https://doi.org/10.71895/PRSM/revue-rise.n6.103>

الملخص

أضحى السعي لتطوير الأنظمة التربوية محورياً في كل خطابات التّقدّم والتّنمية المستدامة، إذ يشكّل التّعليم قيمة كبرى بالنسبة للدول والمجتمعات والأفراد، باعتباره حجر الأساس لتحقيق التّقدّم والتّطور والرّخاء (السديري , 2019). لذلك يعدّ الاستثمار في قطاع التّعليم ركيزة أساسية لبناء أي حضارة وبه يحدث الرّخاء والازدهار. وذلك متى كانت مقومات النظام التربوي تقوم على مبادئ الجودة والتّجديد.

وفي ظلّ السعي لتحقيق التّعليم الجيّد والشّامل للجميع، يؤكّد على القناعة بأنّ التّعليم هو أحد أكثر الوسائل قوّة وثباتاً لتحقيق التّنمية المستدامة. (اليونسكو 2019) وهذا ما يجعلنا نتتبّع واقع المنظومة التربوية التّونسيّة في علاقة بالهدف الرابع من أهداف التّنمية المستدامة والذي يقدّم لنا صورة عن مدى تقدّم المنظومة التربويّة نحو تحقيق هذا الهدف بحلول سنة 2030 بالاعتماد على جملة من المؤشرات الكميّة.

الكلمات المفتاحية: الجودة، جودة التعليم، التنمية المستدامة، النظام التربوي التونسي

¹ Khalfi.amir125@gmail.com

Abstract

The development of educational systems has become a central and pivotal objective within all discourses on progress and sustainable development. Education is recognized as a fundamental value for nations, societies, and individuals, serving as the cornerstone for achieving progress, development, and prosperity (Al-Sudairi, 2019). Consequently, investment in the education sector is a foundational pillar for civilizational advancement and a catalyst for prosperity and flourishing, provided that the components of the educational system are grounded in principles of quality and innovation.

In the pursuit of achieving high-quality, inclusive, and equitable education for all, there is a firm conviction that education represents one of the most powerful and enduring means of fostering sustainable development (UNESCO, 2019). This premise guides our analysis of the state of the Tunisian educational system as it relates to Sustainable Development Goal 4 (SDG 4). This investigation provides a quantitative assessment of the system's progress toward realizing this objective by the year 2030, utilizing a specific set of key performance indicators

Keywords: Socially sensitive scientific issue (SSI), cholesterol, citizenship education, emancipatory citizenship.

مقدمة

في ظلّ التطور السريع و الشامل و الغير مسبوق في بيئة الأرض سيتطلب الأمر "تغيراً إجمالياً في طريقة تفكيرنا وطريقة عملنا (اليونسكو 2014) وذلك من أجل بناء عالم أكثر رخاءاً، عدلاً و سلاماً و استدامة لذلك "يجب أن يكون جميع الأفراد والمجتمعات مزودين بالمعارف و المهارات و القيم و أن يتمتعوا كذلك بوعي معزز من أجل إحداث هذا التغيير" (اليونسكو 2014) ومن هذا الأساس يظهر جلياً الدور المحوري الذي يلعبه التعليم من أجل تحقيق وترسيخ مبادئ التنمية المستدامة الرامية لضمان مستقبل أفضل للجميع دون استثناء.

إذ تؤكد اليونسكو أنه "لا يمكن تحقيق التنمية المستدامة من خلال الحلول التكنولوجية أو الوسائل المالية وحدها، ذلك أن تحقيق التنمية المستدامة يتطلب تغييراً في طريقة تفكير الناس وما يفعلونه" (اليونسكو، 2012) حيث اعتبر المجتمع الدولي منذ أكثر من نصف قرن أن التعليم هو حق من الحقوق الأساسية لكل إنسان بدون استثناء وقد تم اتفاق في مطلع القرن الجديد أي في عام 2000 م على الأهداف الإنمائية للألفية والتي أقرت بأن "التعليم هو أداة أساسية لتمكين الناس من تحقيق إمكاناتهم" (اليونسكو، 2015) إذ يعتبر التعليم الجيد هو الكفيل بتمكين المتعلمين من التحصيل الفعال للمعارف و التشبع بالقيم و المبادئ الاجتماعية و التمكين من المهارات الضرورية لضبط كيفية التعامل الفعال و الناجع مع الذات و الأحداث و الناس و المجتمع عموماً . إذ "إنه أمر لا غنى عنه لتحقيق التنمية البشرية المستدامة والنمو الاجتماعي والاقتصادي". (عبد الرحيم ليه، عبد الناصر ناجي - 2022)

ولعلّ هذا ما يحيلنا للتساؤل عن مدى نجاعة الدور الذي عهدت به الأنظمة التربوية عموماً والنظام التربوي التونسي خصوصاً حول ضمان تحقيق جودة التعليم باعتباره عنصراً أساسياً لتحقيق أهداف التنمية المستدامة وخاصة منها الهدف الرابع والمتمثل في "التعليم الجيد".

أهداف البحث:

في بحثنا هذا سنهتم بثلاث نقاط أساسية تتمثل أساسا في:

1. مواصفات النظام التعليمي والإنفاق على التعليم
2. واقع التعليم التونسي: (الابتدائي - الإعدادي - الثانوي)
3. واقع الطفولة المبكرة بالجمهورية التونسية

أسئلة البحث:

في بحثنا هذا سنطرح سؤالين سياسيين هما:

- أ. هل تعتبر مواصفات النظام التربوي التونسي متناغمة مع متطلبات وغايات الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة؟
- ب. هل تبرز مؤشرات الواقع التربوي التونسي في مراحلها المختلفة (تعليم قبل المدرسي - التعليم الابتدائي - التعليم الإعدادي والتعليم الثانوي) تقدما في تحقيق غايات الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة؟

أهمية الدراسة:

يمكن أن يسهم هذا العمل أساسا في تقديم رؤية واضحة عن واقع النظام التربوي التونسي في علاقة بأهداف التنمية المستدامة. وأن يبرز مدى تقدم جهودات الجمهورية التونسية في سعيها لتحقيق الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة والمتمثل في ضمان "التعليم الجيد" في أفق 2030.

المنهجية المعتمدة

نتلخص المنهجية المعتمدة في دراسة الحال، على تركيز البحث على ظاهرة معاصرة ضمن سياق الحياة الواقعي (Yin, 1994; 2003; 2005) فدراسة الحال من الأدوات الهامة التي يمكن من خلالها جمع بيانات متعددة ومعلومات متعمقة تتعلق بالحال موضوع الدراسة, **Chek and Schutt** (2017; Abdelwahed, 2011) و يتمثل الهدف في وصف لوحدة مستقلة وتحليلها أيا كانت هذه الوحدة (موضوع، شخصية، مجموعة من الأفراد، حادث، ظرف معين، مجموعة من شركات، دولة ... إلخ) حول هذه النقطة بالذات تتمثل أولى خطوات هذا المنهج في تحديد الحالة محل الدراسة

ومحدّداتها و نوعها (Fidel et al , 2004) . وفي إطار هذا المقال تتعلّق حالة الدراسة بالنظام التربوي التّونسي (الجمهورية التونسية - النظام التربوي).

حيث يتّبع هذا العمل منهجية بحثية علمية تقوم على تجميع وتحليل باقة من البيانات والمعلومات التربوية والتّنموية التي تم نشرها في عدد من النّقارير وقواعد البيانات الدولية المحدثة.

تحليل المفاهيم:

بداية لابدّ أن نشير أنّ التّتمية المستدامة هي نموذج شامل للأمم المتّحدة، وقد تمّ توصيف مفهوم التّتمية المستدامة في تقرير لجنة برونتلاند² (1987) وعرفت أنّها "التّتمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها الخاصة." «فالاستدامة هي نموذج للتفكير حول المستقبل الذي يضع في الحسبان الاعتبارات البيئية والاجتماعية والاقتصادية في إطار السعي للتّتمية وتحسين جودة الحياة." (اليونسكو, 2013)

من الممكن أن نتساءل ما هو الفرق بين التّتمية المستدامة والاستدامة؟

وفي هذا الصدد يُعتقد في غالب الأحيان أنّ الاستدامة هدف طويل الأجل (عالم أكثر استدامة) بينما التّتمية المستدامة تشير إلى العمليّات والطرق العديدة لتحقيق ذلك (مثل الغابات المستدامة، والزراعة المستدامة، الإنتاج والاستهلاك المستدام، الحكومة الناشطة، البحوث ونقل التكنولوجيا، التّعليم والتدريب.... الخ). - (اليونسكو 2013) ويمكن اعتبار أهداف التّتمية المستدامة بمثابة الخطة لتحقيق مستقبل أفضل وأكثر استدامة للجميع. وتُحاول التّصديّ للتحديات العالمية التي نواجهها، بما في ذلك التحديات المتعلّقة بالفقر وعدم المساواة والمناخ وتدهور البيئة، والازدهار، والسّلام، والعدالة.

وتتجسّد أهداف التّتمية المستدامة في 17 هدفاً.

وسنخصّص رؤيتنا على الاهتمام بالهدف الرابع (جودة التّعليم) وتتمثّل أبرز مقاصده³:

- ضمان أن يتمتّع جميع البنات والبنين والفتيات والفتيان بتعليم ابتدائي وثانوي مجاني ومنصف وجيد، ممّا يؤديّ إلى تحقيق نتائج تعليمية ملائمة وفعّالة بحلول عام 2030.

² أنشئت بموجب قرار الجمعية العامة 161/38 المؤرخ 19 ديسمبر 1983 أعدت تقريراً قُدم إلى الجمعية العامة في عام 1987 استند إلى دراسة استغرقت أربع سنوات أُحيل بموجب الوثيقة A/42/427 حمل عنوان "مستقبلنا المشترك"، ويُعرف أيضاً باسم تقرير برونتلاندتضمن تطويراً لموضوع التّتمية المستدامة

³ <https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/education/>

- ضمان أن تتاح لجميع البنات والبنين فرص الحصول على نوعية جيدة من النماء والرعاية في مرحلة الطفولة المبكرة والتعليم قبل الابتدائي حتى يكونوا جاهزين للتعليم الابتدائي بحلول عام 2030.
- ضمان تكافؤ فرص جميع النساء والرجال في الحصول على التعليم المهني والتعليم العالي الجيد والميسور التكلفة، بما في ذلك التعليم الجامعي، بحلول عام 2030.
- الزيادة بنسبة كبيرة في عدد الشباب والكبار الذين تتوفر لديهم المهارات المناسبة، بما في ذلك المهارات التقنية والمهنية، للعمل وشغل وظائف لائقة ولمباشرة الأعمال الحرة بحلول عام 2030.
- القضاء على التفاوت بين الجنسين في التعليم وضمان تكافؤ فرص الوصول إلى جميع مستويات التعليم والتدريب المهني للفئات الضعيفة، بما في ذلك للأشخاص ذوي الإعاقة والشعوب الأصلية والأطفال الذين يعيشون في ظل أوضاع هشة، بحلول عام 2030.
- ضمان أن تلم نسبة كبيرة جميع الشباب من الكبار، رجالاً ونساءً على حد سواء، بالقراءة والكتابة والحساب بحلول عام 2030.
- ضمان أن يكتسب جميع المتعلمين المعارف والمهارات اللازمة لدعم التنمية المستدامة، بجملة من السبل من بينها التعليم لتحقيق التنمية المستدامة واتباع أساليب العيش المستدامة، وحقوق الإنسان، والمساواة بين الجنسين، والترويج لثقافة السلام واللاعنف والمواطنة العالمية وتقدير التنوع الثقافي وتقدير مساهمة الثقافة في التنمية المستدامة، بحلول عام 2030.
- بناء المرافق التعليمية التي تراعي الفروق بين الجنسين، والإعاقة، والأطفال، ورفع مستوى المرافق التعليمية القائمة وتهيئة بيئة تعليمية فعالة ومأمونة وخالية من العنف للجميع.
- الزيادة بنسبة كبيرة في عدد المنح المدرسية المتاحة للبلدان النامية على الصعيد العالمي للبلدان النامية، وبخاصة لأقل البلدان نمواً والدول الجزرية الصغيرة النامية والبلدان الأفريقية، للالتحاق بالتعليم العالي، بما في ذلك منح التدريب المهني وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والبرامج التقنية والهندسية والعلمية في البلدان المتقدمة النمو والبلدان النامية الأخرى، بحلول عام 2020.

- الزيادة بنسبة كبيرة في عدد المعلمين المؤهلين، بما في ذلك من خلال التعاون الدولي لتدريب المعلمين في البلدان النامية، وبخاصة في أقل البلدان نمواً والدول الجزرية الصغيرة النامية، بحلول عام 2030"

وفي هذا السياق يبرز الهدف العام المتمثل في ضمان التعليم الشامل والجيد للجميع وتشجيع التعلم مدى الحياة ومن هذا الأساس تبرز مركزية الهدف الخاص بالتعليم باعتباره " المفتاح الذي سيسمح بتحقيق الكثير من أهداف التنمية المستدامة الأخرى. فعندما يكون بمقدور الناس الحصول على التعليم الجيد، سيكونهم من كسر دائرة الفقر. ولذلك، فإن التعليم يساعد على الحد من انعدام المساواة وتحقيق المساواة بين الجنسين. كما أنه يمكن الناس في كل مكان من العيش حياة أكثر صحة واستدامة. كما يلعب التعليم دوراً حاسماً في تعزيز التسامح بين الناس، ويسهم في قيام مجتمعات أكثر سلاماً". (اليونسكو - التعليم الجيد: لماذا مهم⁴ ؟)

واقع النظام التربوي التونسي في علاقة بأهداف التنمية المستدامة

صدر في سنة 2024 تقرير اليونسكو العالمي لرصد التعليم 2023 ، وهو "تقرير سنوي يعده فريق مستقل وتتولى اليونسكو نشره ووفقاً لإطار العمل الخاص بالتعليم حتى عام 2030، الغرض منه هو متابعة التقدم المحرز في تحقيق هدف التنمية المستدامة الخاص بالتعليم وفي تنفيذ الاستراتيجيات التعليمية الوطنية والدولية بغية المساعدة على مساءلة جميع الشركاء المعنيين عن الوفاء بتعهداتهم⁵. وقد حملت نسخة هذا التقرير عنوان " التكنولوجيا في مجال التعليم: ما ماهية هذه الأداة ومن يضع شروطها؟" ويتناول هذا التقرير في جانب هام منه عديد القضايا المتعلقة بقضية التعليم والتكنولوجيا. ويتطرق التقرير في جانب آخر لرصد مدى التزام الحكومات عبر العالم بضمان التعليم الجيد والمنصف والشامل للجميع ومدى تكيفها مع احتياجات التلاميذ في علاقة بأهداف التنمية المستدامة وخاصة منها الهدف الرابع والذي يتفرع بدوره لجملة من مؤشرات. ويعتبر هذا التقرير حزمة من البيانات الهامة المساهمة في متابعة جملة مؤشرات الهدف الرابع.

وفيما يلي عرض لبيانات بشأن الوضع التربوي التونسي ومدى نجاح الدولة التونسية في تطويره وإصلاحه في إطار سعيها إلى تحقيق التزامها الدولي بتحقيق أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة

⁴ اليونسكو - التعليم الجيد: لماذا مهم؟- https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/wp-content/uploads/sites/2/2017/01/wim_dgs4.pdf

⁵ اليونسكو - موقع اليونسكو - (2024-07-30) <https://www.education-progress.org/ar/about>

للأعوام 2016-2030. ويتكون هذا الإطار التقييمي من عدد من المؤشرات المتفرعة عن غايات ومقاصد الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة. وقد وقع ترتيبها على نفس النسق المتبع في التقرير الذي أعدته منظمة اليونسكو بشأن رصد التعليم في العالم.

الجدول 1: مواصفات النظام التعليمي والإنفاق على التعليم

النتائج التي حققتها تونس	مدى توفر البيانات الخاصة بتونس	المؤشر			أنظمة التعليم
-	0	سنة من التعليم ما قبل الابتدائي	4.2.5	التعليم الإلزامي (أ)	
9	متوفر	عدد السنوات الإلزامية من التعليم قبل الابتدائي والاعدادي والثانوي	4.1.7		
-	0	توفير سنة واحدة مجانية من التعليم ما قبل الابتدائي	4.2.5	التعليم المجاني (ب)	
11	متوفر	عدد السنوات المجانية من التعليم الابتدائي والاعدادي والثانوي	4.1.7		
6	متوفر	السن الرسمية للالتحاق بالتعليم الابتدائي	لا تعتبر مؤشرات	السن الرسمية للالتحاق بالتعليم الابتدائي (ج)	
3	متوفر	مدة مرحلة التعليم ما قبل المدرسي		مدة كل مستوى تعليمي	
6	متوفر	مدة مرحلة التعليم الابتدائي		(د)	
3	متوفر	مدة مرحلة التعليم الاعدادي			
4	متوفر	مدة مرحلة التعليم الثانوي			
623	متوفر	في مرحلة التعليم قبل الابتدائي		السكان في سن الالتحاق	

1199	متوفر	في مرحلة التعليم الابتدائي		بحساب المليون (هـ)	
1143	متوفر	في مرحلة التعليم الاعداي			
797	متوفر	في مرحلة التعليم الثانوي			
-	غير متوفر	في مرحلة التعليم ما قبل المدرسي			
1304	متوفر	في مرحلة التعليم الابتدائي			
-	غير متوفر	في مرحلة التعليم الاعداي			
299		التعليم الثانوي			
-	غير متوفر			الاتحاق 000 000 (و)	
-	غير متوفر			الاتفاق الحكومي على التعليم	ز.
				كنسبة (%) من اجمالي الناتج المحلي	
-	غير متوفر		2.أ.1	حصة التعليم من اجمالي الاتفاق الحكومي (%)	ح.
-	غير متوفر	التعليم ما قبل الابتدائي	4.5.4	حصة الطالب من الاتفاق الحكومي على التعليم (تعادل القوة الشرائية الثابت للعام 2017 بالدولار الأمريكي	ط. التمويل نصيب الفرد كنسبة مئوية من اجمالي الناتج المحلي
-	غير متوفر	التعليم الابتدائي			
5779	متوفر	التعليم الاعداي والثانوي			
6037	متوفر	التعليم العالي			
-	غير متوفر	التعليم ما قبل الابتدائي			
-	غير متوفر	التعليم الابتدائي			
51	متوفر	التعليم الاعداي والثانوي			
53	متوفر	التعليم العالي			

دلالة هذه النتائج في السياق التربوي التونسي

في ظل حزمة النتائج والبيانات الإحصائية التي تخص مؤشرات الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة يمكننا استخلاص جملة من الاستنتاجات:

1. عدد السنوات الإلزامية في مرحلة التعليم ما قبل المدرسي: لا يعتبر التعليم ما قبل الابتدائي إلزاميا في تونس. بالرغم من التوجه العالمي المتزايد الداعي باستمرار إلى ضرورة سن قوانين تجعل من التعليم ما قبل الابتدائي إلزاميا وذلك لثبات تأثيره الإيجابي على قدرات التلاميذ في المراحل التعليمية اللاحقة. وبمقارنة السياق التعليمي التونسي مع متوسط النتائج التي حققتها دول شمال إفريقيا وغرب آسيا يبرز أن 12% من هذه الدول تعتبر التعليم ما قبل الابتدائي إلزاميا وتكون هذه النسب أعلى إذا ما تم مقارنتها مع متوسط النتائج التي حققتها دول أوروبا وأمريكا الشمالية حيث نجد 37%.

2. توفر البلاد التونسية 9 سنوات إلزامية من التعليم قبل الابتدائي والاعدادي والثانوي وتعتبر بذلك ضمن قائمة العديد من الدول وفرت الحد الأدنى المطلوب.

3. بالرغم من عدم توفر بيانات بخصوص مؤشر (الإنفاق الحكومي على التعليم كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي ومؤشر حصة التعليم من إجمالي الإنفاق الحكومي (%)) ولكن بحسب البيانات الإحصائية التي ينشرها معهد اليونسكو للإحصاء في تقارير سابقة يؤكد أن البلاد التونسية يمكن اعتبارها ضمن الدول التي تعدّ فيها نسبة الإنفاق الحكومي على التعليم كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي ضمن المستويات العليا حيث قدرت بـ 6.22% سنة 2015. أما بخصوص مؤشر الإنفاق على التعليم كنسبة مئوية من إجمالي الإنفاق الحكومي والذي يهدف لتقييم سياسة الدولة وتركيزها على التعليم والاستثمار الذي يكرّس له بالمقارنة مع القيمة المقدّرة للاستثمارات الحكومية الأخرى، كما يعكس التزام الدولة بالاستثمار في تنمية رأس المال البشري). "اليونسكو، 2009 (فتقدر العديد من التقارير الدولية السابقة أن نسبة الإنفاق الحكومي على التعليم كنسبة مئوية من إجمالي الإنفاق الحكومي في تونس لسنة 2015 حوالي 22.67% (معهد اليونسكو للإحصاء) وتعدّ هذه النسبة ضمن النسب المرتفعة وفيما يلي عرض لنسبة الإنفاق الخاص بالجمهورية التونسية وبعض التجارب الرائدة خلال العقدين الأخيرين بحسب نتائج معهد اليونسكو للإحصاء.

2015	2010	2005	2000	المؤشر	البلد
22.67	24.85	26.7	24.59	الإففاق على التعليم كنسبة مئوية من إجمالي الإففاق الحكومي (%)	تونس
12.44	12.07	12.25	12.17		فنلندا
19.69	18.57	22.28	20.31		سنغافورا
19.81	18.41		21.39		ماليزيا
14.09	14.32	13.59	13.36		أستراليا

وبالاعتماد على البيانات الواردة في الجدول الإحصائي يبرز جلياً أن الجمهورية التونسية تستثمر منذ عقود نسبة هامة من إنفاقها الحكومي على التعليم حيث تجاوزت بذلك العديد من الدول الرائدة في التعليم على غرار فنلندا، وسنغافورة، وماليزيا، وأستراليا. حيث أوصت عديد المنظمات الدولية المختصة مثل اليونسكو وبرنامج الأمم المتحدة من خلال وثيقة إعلان إنشيون⁶ في العام 2015 بأن يتراوح الإنفاق على التعليم بين 4% و6% على الأقل من الناتج المحلي وما بين 15% و20% من الإنفاق الحكومي على التعليم. ورغم أن حجم الإنفاق على التعليم في تونس يتجاوز هذه النسب بشكل واضح إلا أن أداء المنظومة التربوية مازال ضعيفا ومتدنيا.

4. حجم الإنفاق على التلميذ الواحد من التعليم الثانوي وحجم الإنفاق على الطالب الواحد من التعليم العالي يعتبران من المعدلات الإنفاق الهامة لكن دون أن يترجم ذلك بشكل واضح وملحوس في أداء المتعلمين.

5. نصيب الفرد كنسبة مئوية من إجمالي الناتج المحلي في المرحلة الإعدادية والثانوية في حدود 51% بينما لم تتجاوز معدلات منطقة شمال إفريقيا وغرب آسيا 20% أما منطقة

⁶ التعليم بحلول عام 2030 - إعلان إنشيون : نحو التعليم الجيد و المنصف و الشامل و التعلم مدى الحياة للجميع

https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000243278_ara

أوروبا وشمال أمريكا فكانت في حدود 22%. وبخصوص نصيب الفرد كنسبة مئوية من إجمالي الناتج المحلي في مرحلة التعليم العالي فبلغت حدود 53 % بينما لم تتجاوز معدلات منطقة شمال إفريقيا وغرب آسيا 18 % أما منطقة أوروبا وشمال أمريكا فكانت في حدود 27% وهو ما يؤكد أن نسب الإنفاق من الناتج المحلي الإجمالي للفرد (في كل من التعليم الإعدادي والثانوي من جهة والتعليم العالي من جهة أخرى) في تونس الأعلى دوليا وهو ما يعكس الأعباء المالية المتزايدة للتعليم في تونس رغم أدائه المتدني.

الجدول 02 - الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة، الغاية - 4.1 التعليم الابتدائي والثانوي

النتائج التي حققتها تونس	مدى توفر البيانات الخاصة بتونس	المؤشرات		
		التعليم الابتدائي	التعليم الإعدادي	التعليم الثانوي
9	متوفر			الانقطاع عن التعليم
-	غير متوفر			
-	غير متوفر			
1	متوفر	4.1.4	التعليم الابتدائي	نسبة الأطفال خارج المدرسة (%)
-	غير متوفر		التعليم الإعدادي	
-	غير متوفر		التعليم الثانوي	
96	متوفر	4.1.2	التعليم الابتدائي	معدل الإتمام (الإكمال) %
89	متوفر		التعليم الإعدادي	
66	متوفر		التعليم الثانوي	
7	متوفر	4.1.5	التعليم الابتدائي	تجاوز العمر (فوق العمر المحدد للصف %
18	متوفر		التعليم الإعدادي	

112	متوفر		نسبة الالتحاق الإجمالية في التعليم الابتدائي (%)	التعلم	
99	متوفر		المعدل الصافي المكيف للالتحاق بالتعليم الابتدائي (%)		
105	متوفر	4.1.3	نسبة الالتحاق الإجمالية حتى الصف الأخير من التعليم الابتدائي (%)		
93	متوفر		الانتقال من التعليم الابتدائي إلى التعليم الإعدادي (%)		
-	غير متوفر		صافي معدل الالتحاق بالتعليم الإعدادي (%)		
88	متوفر	4.1.3	نسبة الالتحاق الإجمالية حتى الصف الأخير من التعليم الإعدادي (%)		
-	غير متوفر		إجمالي صافي معدل الالتحاق بالتعليم الثانوي (%)		
نعم	متوفر	4.1.6	الصفوف الأولى: القراءة		إجراء تقييم تمثيلي على المستوى الوطني للتعلم
نعم	متوفر		الصفوف الأولى: الرياضيات		
لا	غير متوفر		نهاية التعليم الابتدائي: القراءة		
لا	غير متوفر		نهاية التعليم الابتدائي: الرياضيات		

لا	غير متوفر		نهاية التعليم الاعدادي: القراءة	تحقيق الحد الأدنى من مستوى الكفاءة (%)
لا	غير متوفر		نهاية التعليم الاعدادي: الرياضيات	
لا	غير متوفر	4.1.1	الصفوف الأولى: القراءة	
لا	غير متوفر		الصفوف الأولى: الرياضيات	
لا	غير متوفر		نهاية التعليم الابتدائي: القراءة	
لا	غير متوفر		نهاية التعليم الابتدائي: الرياضيات	
لا	غير متوفر		نهاية التعليم الاعدادي: القراءة	
لا	غير متوفر		نهاية التعليم الاعدادي: الرياضيات	
لا	غير متوفر			

دلالة هذه النتائج في السياق التربوي التونسي

1. بالنسبة لمعدل الإتمام فتبرز النتائج أن 4 % من التلاميذ التونسيين لا يتمون المرحلة الابتدائية و11 % من التلاميذ التونسيين لا يتمون المرحلة الإعدادية ويفشل 34 % من التلاميذ في إتمام المرحلة الثانوية وهذا ما يعكس مشاكل كبرى لعل أبرزها ما يدل أن حوالي ثلث التلاميذ مستواهم ما دون الجامعي.

2. بالنسبة لتجاوز العمر والذي يقصد به (يقصد بها النسبة المئوية للتلاميذ الأكبر سناً من أعمار صفهم الدراسي، ممن تزيد أعمارهم بسنتين أو أكثر عن السن المحددة لصفهم. حيث يتضح بشكل واضح أن نسب الرسوب في التعليم الاعدادي تتجاوز المعدلات المسجلة في دول شمال إفريقيا وغرب آسيا والتي قدرت بـ (11%) وهو ما يبرز حجم الصعوبات التي يواجهها التلاميذ لضمان تحقيق نتائج تحقق نجاحهم هذا من جهة ومن جهة أخرى تؤكد هذه البيانات على حجم الهدر الذي يواجهه النظام التربوي في علاقة بالأعباء المالية المتكبدة نتيجة الرسوب.

3. نسبة الانتقال من التعليم الابتدائي إلى التعليم الإعدادي بلغت 93 % ما يعني أنه إلى اليوم ما تزال نسبة مهمة من التلاميذ التونسيين يواجهون صعوبات في تجاوز سنوات التعليم الابتدائي. وتزداد

الأمر سوءا بخصوص نسبة الالتحاق الإجمالية حتى الصف الأخير من التعليم الإعدادي إذ لا يتمكن 12 % من التلاميذ التونسيين من إتمام تعليمهم الأساسي (السنة التاسعة) وهو ما يعني أن آلاف التلاميذ يفشلون في إنهاء تعليمهم الأساسي وهذا ما يتعارض مع مبادئ الجودة ومبادئ الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة.

4. وفي نفس السياق يطالعنا المسح الوطني العنقودي متعدد المؤشرات حول وضع الأم والطفل في تونس بجملة من البيانات الهامة التي تخص واقع التعليم التونسي بداية بـ:

1. نسبة الأطفال التونسيين الذين يلتحقون بالتعليم الابتدائي.

حيث بلغت نسبة الأطفال التونسيين الذين يلتحقون بالتعليم الابتدائي (أي الذين هم في سن التعليم الابتدائي): 92.2% لسنة 2023 (مقارنة بـ 96.9% في 2018) أي أن حوالي 8% من الأطفال التونسيين الذين هم في سن التعليم الابتدائي لا يذهبون إلى المدرسة.

2. نسبة الأطفال التونسيين الذين يلتحقون بالتعليم الإعدادي

نسبة الأطفال التونسيين الذين يلتحقون بالتعليم الإعدادي (أي الذين هم في سن التعليم الإعدادي): 76.5% لسنة 2023 (مقارنة بـ 82% في 2018) وهذا ما يؤكد أن نسبة كبيرة من الأطفال التونسيين لا يلتحقون بالتعليم الإعدادي رغم أنه من المفترض أن يكونوا مسجلين في التعليم الإعدادي.

3. نسبة الأطفال التونسيين الذين يلتحقون بالتعليم الثانوي (أي الذين هم في سن التعليم الثانوي):

فقد بلغت 59.4% (مقارنة بـ 59.3% في 2018) إذ توثق هذه النسبة أن حوالي 40% من الأطفال التونسيين الذين هم في سن التعليم الثانوي لا يلتحقون / لا يسجلون في المعاهد الثانوية.

4. نسبة الأطفال التونسيين الذين ينهون التعليم الابتدائي

نسبة الأطفال التونسيين الذين ينهون التعليم الابتدائي: 92.5% (مقارنة بـ 95% في 2018) تكشف هذه الأرقام أن 7.5% من الأطفال التونسيين لا ينهون تعليمهم الابتدائي. ولو ربطنا هذه النسبة بأعداد التلاميذ التونسيين المسجلين في مرحلة التعليم الابتدائي في العام 2021، بحسب معهد اليونسكو

للإحصاء، فإن هذا يعني أن حوالي 98 ألف طفلًا منهم لم ينهوا تعليمهم الابتدائي، وهو رقم كبير جدًا.

5. نسبة الأطفال التونسيين الذين ينهون التعليم الإعدادي

نسبة الأطفال التونسيين الذين ينهون التعليم الإعدادي: بلغت 72.8% في سنة 2023 (مقارنة بـ 74.2% في سنة 2018) تكشف هذه الأرقام أن 27.2% من الأطفال التونسيين لا ينهون تعليمهم الإعدادي. ولو ربطنا هذه النسبة بأعداد التلاميذ التونسيين المسجلين في مرحلة التعليم الإعدادي في العام 2021، بحسب معهد اليونسكو للإحصاء، فإن هذا يعني أن حوالي 153 ألف طفلًا منهم لم ينهوا تعليمهم الإعدادي، وهو رقم كبير جدًا.

6. نسبة الأطفال التونسيين الذين ينهون التعليم الثانوي

نسبة الأطفال التونسيين الذين ينهون التعليم الثانوي: بلغت النسبة 35.4% (مقارنة بـ 48.7% في 2018) تكشف هذه الأرقام أن 64.6% من الأطفال التونسيين لا ينهون تعليمهم الثانوي.

بالرغم من عدم توفر البيانات بخصوص تحقيق الحد الأدنى من مستوى الكفاءة في القراءة والرياضيات وذلك في تقرير رصد التعليم لسنة 2023 إلا أننا نجد في المسح العنقودي جملة من البيانات الهامة التي تقدم لنا صورة عن واقع كفاءة التلاميذ التونسيين في كل من القراءة والرياضيات:

1. نسبة الأطفال (7-14 سنة) الذين لا يمتلكون المهارات الأساسية في القراءة: 36% وتبين هذه النسبة أن جزءًا كبيرًا من الأطفال التونسيين يفتقدون إلى القدرة على القراءة باللغة الأم.

ويتعمق التقرير في تحليل النتائج الإحصائية ويبرز أن "نسبة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 7 و14 عامًا والذين يمتلكون مهارات أساسية في القراءة قد شهدت انخفاضًا سنة 2023 (64%) مقارنة بسنة 2018 (66%)". وتختلف هذه النسبة بصفة ملحوظة حسب مكان الإقامة وحسب المستوى التعليمي للأهل ووضع الأسرة الاقتصادي وجنس الطفل. فكانت أعلى في المناطق الحضرية (71.1%) مقارنة بالمناطق الريفية (50.7%) وبين أطفال الأمهات التي لديهن مستوى تعليمي جامعي (75.4%) مقارنة بأطفال الأمهات غير المتعلّمات (42.8%) كما لوحظ تفاوت كبير بين أطفال الأسر الأكثر فقرا (46.8%) وأطفال الأسر الأكثر ثراء (80%). ويؤكد التقرير على أن "الأطفال الذين لا يستطيعون قراءة أو فهم نصّ بسيط

سيكونون أكثر عرضة للرسوب ولعدم تطوير المهارات الأساسية الضرورية لنجاحهم " (MICS-2023)

2. نسبة الأطفال (7-14 سنة) الذين لا يمتلكون المهارات الأساسية في الحساب/الرياضيات: 68.3% وهذا ما يؤكد أن غالبية الأطفال التونسيين لا يتقنون الرياضيات، 3 على 10 أطفال فقط يتقنون المهارات الأساسية في الحساب. وهي مهارات من بين أهم مجالات التعلم. وعليه تؤكد هذه البيانات أن التواجد في المدرسة لا يعني أن التلميذ التونسي بصدد التعلم. بل قد يمضي سنوات من الالتحاق اليومي بالمدرسة دون أن يحقق الحد الأدنى من الإلتقان في بعض المعارف والمهارات الأساسية، مثل القراءة والرياضيات.

الجدول 3: الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة، الغاية 4.2 - الطفولة المبكرة

المؤشرات (السنة المرجعية 2021)	مدى توفر البيانات الخاصة بتونس	النتائج التي حققتها تونس
نسبة الأطفال دون سن الخامسة على المسار الصحيح تنمويا (%)	متوفرة	82
الأطفال دون سن الخامسة الذين يعانون من النقرم (%)	متوفرة	9
بيئة منزلية محفزة (%)	متوفرة	73
الأطفال دون سن الخامسة الذين لديهم ثلاثة كتب للأطفال أو أكثر (%)	متوفرة	24
نسبة الالتحاق الاجمالية بالتعليم ما قبل الابتدائي (%)	غير متوفرة	-
المعدل الصافي المكيف للالتحاق بالتعليم سنة قبل التعليم الابتدائي (%)	غير متوفرة	-

من خلال البيانات الإحصائية يبرز أن الكثير من الأطفال التونسيين يعانون من البيئة المنزلية الغير محفزة حيث لا يتوفر للأغلبية الكبرى (76% من الأطفال التونسيين (4/3 سنوات) 3

كتب للأطفال أو أكثر و هو ما يؤكد حجم الصعوبات التي تواجهها العائلات التونسية في تربية أطفالهم. إذ يؤكد المسح العنقودي أن نسبة التحاق الأطفال التونسيين (3-4 سنوات) بالبرامج التربوية للطفولة المبكرة (أي الروضة) بلغت 47.2% لسنة 2023 (مقارنة بـ 50.6% في 2018) هذا يعني أن أكثر من نصف الأطفال لا يتمتعون بهذه البرامج بالرغم من قيمتها في تعزيز النمو الإدراكي واللغوي والعاطفي والحركي والاجتماعي للأطفال.

وبين المسح وجود تباينات هامة بين الواسطين الحضري والريفي وحسب الوضع الاقتصادي للأسر

والمستوى التعليمي للأم. حيث أن 35.4% فقط من الأطفال في المناطق الريفية يتمتعون بالبرامج التربوية للطفولة المبكرة (أي أن أكثر من 6 من كل 10 أطفال بالمناطق الريفية لا يستفيدون من هذه الخدمات) وقد سجلت هذه النسبة ارتفاعا مقارنة بسنة 2018 (27.6%) إذ أن 17.4% فقط من الأطفال من العائلات الأكثر فقرا يستفيدون من البرامج التربوية للطفولة المبكرة (أي أن أكثر من 8 من كل 10 أطفال لا يستفيدون منها) بالمقارنة مع 56.3% من العائلات الأكثر ثراء (MICS-2023). وبالإضافة إلى ذلك يواجه الكثير من الأطفال في إيجاد البيئة المنزلية الداعمة والمساهمة في تحقيق أعلى مستويات النمو المعرفي إذ بلغت نسبة الأطفال التونسيين الذين يعيشون في أسر/عائلات لا تمتلك أكثر من 3 كتب أو أكثر للأطفال: 80% (مقارنة بـ 75.9% في 2018) وعليه فإنه يعيش 20% فقط من الأطفال في منازل تحتوي على 3 كتب أو أكثر للأطفال و قد تراجع هذا المعدل مقارنة بما عليه سنة 2018 (24.1%) مما يجعل الأسر التونسية تواجه العديد من الصعوبات في تنمية المهارات الأساسية للأطفال.

الإجابة عن الأسئلة

في ظل التقاطع بين المؤشرات والغايات الخاصة بالهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة وجملة البيانات الإحصائية الخاصة بالواقع التونسي يمكن أن نستشف الآتي:

أ. هل تعتبر مواصفات النظام التربوي التونسي متناغمة مع متطلبات وغايات الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة؟

يمكن الإقرار بتناغم العديد من المؤشرات مع مبادئ الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة كميًا بالرغم من بعض النقائص لعل من ضمنها النقطة الخاصة بسنوات التعليم قبل المدرسي إلا أن

العديد من المؤشرات التي تخص هيكلية النظام التربوي تتلاءم ومتطلبات تحقيق هذا الهدف، بل وتشهد أحيانا تجاوزا للمعدلات المطلوبة لعل ذلك ما شهدناه في نسب الانفاق على التعليم.

ب. هل تبرز مؤشرات الواقع التربوي التونسي في مراحلها المختلفة (تعليم قبل المدرسي - التعليم الابتدائي - التعليم الاعدادي والتعليم الثانوي) تقدما في تحقيق غايات الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة؟

بالرغم من عديد الإنجازات والنتائج المحققة في علاقة بواقع التعليم التونسي بمختلف مراحل (قبل المدرسي - الابتدائي - الاعدادي - الثانوي) إلا أن النتائج تبرز مشاكل كبيرة بين الكم والكيف. حيث يواجه النظام التربوي التونسي العديد من الصعوبات بخصوص جودة التعليم من حيث النقص في معدلات إتمام التعليم وارتفاع معدلات الرسوب والانقطاع عن التعليم وما سببه ذلك من انتشار لظاهرة التسرب المدرسي. بالإضافة للتحديات الكبرى التي يواجهها واقع الطفولة المبكرة مما يجعل واقع النظام التربوي التونسي لا يؤكد عن التوجه بخطوات ثابتة لتحديد الغايات الخاصة بالهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة بحلول 2030.

خاتمة

بناءً على تحليل المؤشرات ذات الصلة بواقع المنظومة التربوية التونسية وعلاقتها بأهداف التنمية المستدامة، تظهر صعوبات كبيرة في تحقيق الأهداف المحددة ضمن رؤية 2015-2030. ويعود ذلك إلى ضعف العديد من المؤشرات وتراجعها، مما يثير الشكوك حول إمكانية تحقيق الجودة المنشودة. يتفاقم هذا الوضع بسبب غياب البيانات الواضحة، حيث وثقت منظمة اليونسكو (2023) أن وزارة التربية التونسية لم تقدم بيانات مفصلة إلا عن هدفين فقط من أصل 20 هدفاً عالمياً، واصفةً الخطط الوطنية بـ "خطط بدون غايات". وتؤكد المؤشرات الإحصائية أن هامش تطور تونس في تحقيق أهداف التنمية المستدامة بلغ 2.88 نقطة فقط بين عامي 2012 و2022، لتحتل المرتبة 58 من أصل 166 دولة (ساكس وآخرون، 2023).

وتشير هذه النتائج إلى أن النظام التربوي التونسي يعاني من إشكاليات جوهرية تعيق تحقيق الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة، أبرزها التفاوت في جودة التعليم بين المناطق الحضرية والريفية، ونقص تأهيل المعلمين، وضعف البنية التحتية، والقصور في دمج التكنولوجيا الرقمية. كما تتأثر نسب الالتحاق بالمدارس بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة إلى الخلل في آليات التقييم والمتابعة الشاملة.

ولمواجهة هذه التحديات، تفرض الضرورة تبني حزمة متكاملة من التوصيات، تبدأ بتوجيه استثمارات نوعية لتطوير البنية التحتية التعليمية في المناطق الأكثر احتياجاً، مع إطلاق برامج طموحة لتأهيل المعلمين تركز على أحدث المناهج والتقنيات. ولتحقيق الإنصاف، لا بد من تفعيل آليات الدعم الاجتماعي للفئات الهشة وتسريع وتيرة التحول الرقمي في التعليم. وأخيراً، يجب تعزيز آليات التقييم والمتابعة الشاملة وتفعيل الشراكات بين مختلف الأطراف المعنية لتوحيد الجهود نحو تحقيق تعليم جيد ومنصف للجميع.

المراجع العربية

السديري عماد (2019) أزمة التعليم التونسي، حقائق مخفية تكشفها التقارير الدولية - تونس: يافا للبحوث والدراسات والنشر والتوزيع
المعهد الوطني للإحصاء - المسح الوطني العنقودي متعدد المؤشرات حول وضع الأم والطفل في تونس (MICS-2023)

https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000216269_ara

معهد اليونسكو للإحصاء - التربية - أهداف التنمية المستدامة

[/https://sdg4-data.uis.unesco.org](https://sdg4-data.uis.unesco.org)

اليونسكو (2009) - مؤشرات التربية: توجيهات فنية/تقنية -

<https://uis.unesco.org/sites/default/files/documents/education-indicators-technical-guidelines-ar.pdf>

اليونسكو (2012) - التعليم من أجل التنمية المستدامة تعزيز المهارات اللازمة لتحقيق التنمية المستدامة - منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة

https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000216269_ara

اليونسكو (2014) - خارطة الطريق لتنفيذ برنامج العمل العالمي بشأن التعليم من أجل التنمية المستدامة - منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: باريس (فرنسا)

<https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000381631>

اليونسكو (2015) - مساهمة التعليم في تحقيق الأهداف المقترحة لمرحلة ما بعد عام 2015 عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة - باريس (فرنسا)

https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000231043_ara

اليونسكو (2019)، بناء مجتمعات المعرفة في المنطقة العربية: اللغة العربية بوابة للمعرفة - منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) - باريس (فرنسا)

اليونسكو (2023) – سجل أداء هدف التنمية المستدامة رقم 4 تقرير مرحلي عن المعايير الوطنية:
التركيز على مرحلة الطفولة المبكرة – باريس (فرنسا)

<https://www.unicef.org/tunisia/media/7226/file/r%C3%A9sum%C3%A9%20MICS-%20Livret%20AR.pdf>

المراجع الأجنبية

- Abdelwahed, Souad.)2017(. L'intégration des technologies de l'information et de la communication dans les pratiques enseignantes : Pourquoi et comment réussir à développer des usages des TIC en Tunisie ? Germany : éditions universitaires européennes.
- Check, Joseph and Schutt, Russel K. (2011). Research Methods in education. United States : (SAGE Publications)
- Fidel, Raya ; Annelise Mark pejtersen, Bryan Cleal, Harry Bruce. (2004). A multidimensional approach to the study of human-information interaction : A case study of collaborative information retrieval. JASIST 55(11) :9392004)953(-)
- Sachs, J.D., Lafortune, G., Fuller, G., Drumm, E. (2023). Implementing the SDG Stimulus. Sustainable Development Report 2023. Paris : SDSN, Dublin : Dublin University Press, 2023. 10.25546/102924
- UNESCO. 2024. Rapport mondial de suivi sur l'éducation 2023 : *Les technologies dans l'éducation – Qui est aux commandes ?* Paris, UNESCO. https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000386147_ara?posInSet=15&queryId=b9d0b58a-8342-4b98-9e81-e181668fe286
- Yin, Robert K. (1994). Case study research : Design and methods. Thousand Oaks : Sage Publications
- Yin, Robert K. (2003). Case study research : Design and methods. (Third Editions). Thousand Oaks : Sage Publications
- Yin, Robert K. (2005). Introducing the World off Education : A Case study Reader. Thousand Oaks, California : Sage Publications